الأهرام

المصدر : المسلمون السنة

التاريخ : ٢٢ ذو الحجة ١٤٠١هـ

المسلمون السوفييت يشكلون

فاجسا خطير الموسكو

أعدادهم ستبلغ ١٠٠ مليون بنهاية القرن الميلادى الحالى وسيشكلون غالبية القوى العاملة وثلث الجيش

يرى كثير من المراقبين الغربيين فى الاحتلال السوفيتى لافغانستان امتدادا طبيعيا للسياسة الروسية التقليدية التى يرجع عهدها الى ماقبل « الثورة البلشفية » والتى ترمى الى التوسع جنوبا فى اتجاه المياه الدافئة بالمحيط الهندى وتوسع السوفيت بالطبع ليس امرا خاضعا للمناقشة ذلك ان روسيا كانت واحدة من القوى الاستعمارية التى اخضعت لسلطتها معظم قارة آسيا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ماذا لو استمر التوسع السوفييتى :

واذا ما كانت الامبراطورية الروسية قد استأنفت مسيرتها التوسعية نحو الجنوب فماذا كان سيحدث فى المقابل ؟ الاجابة على هذا السؤال ستكون فى ثورة مواطنى آسيا الوسطى والقوقاز من اجل تحقيق استقلالهم عن روسيا التى تستعمرهم منذ القرن التاسع عشر .

بالطبع هم لم يفعلوا ذلك .. ولكن اليسوا هم مواطنين مسلمين سيتأثرون فى الغالب بالموجة المضادة للاستعمار التى هزت مؤخرا العديد من البلدان الاسلامية ؟ وهل سيشكل البعث الاسلامى الجديد تحديا للسلطات السوفييتية ؟

هذان السؤالان برزا الى السطح بعد نجاح الثورة الاسلامية فى ايران .. وقد نشر مقال فى هذا الخصوص فى النشرة البريطانية (الدين فى الدول الشيوعية) تحت عنوان (الاتجاه المحافظ والانشقاقي للمسلمين فى الاتحاد السوفييتى) .

وقد اثار المقال الذى كتبه متخصصان فرنسيان هما الكسندر بنيجسين و تشانتال ليميرسير .. اثار الانتباه الى حقيقة ان المسلمين الذين يعيشون فى الاتحاد السوفييتى والذين تتراوح اعدادهم بين ٤٥ ـ ٥٠ مليون شخص يشكلون خامس قوة اسلامية فى العالم بعد اندونيسيا وباكستان والهند وبنجلاديش .

ويمضى المقال فى ايراد حقائق مثيرة اذ يقول ان بنهاية هذا القرن العشرين سيصبح عدد المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ١٠٠ مليون شخص على الاقل .. وذلك بالمقارنة مع عدد الروس الذين سيبلغون انذاك حوالى ١٥٠ مليون نسمة .

منظمات اسلامية سرية

ويشير المؤلفان الى انتشار المنظمات الدينية السرية فى المناطق التى يقطنها المسلمون بالاتحاد السوفييتى .. الأمر الذى يشكل خطرا على المؤسسات السوفييتية خاصة وان المنظمات الاسلامية تعتبر الوحيدة التى قاومت شتى ضروب القهر السوفييتية بل حافظت على (ديناميكيتها) ونشاطها خلال العشر سنوات الأخيرة .

ان القتال العنيف الذى تخوضه الجماعات الاسلامية فى افغانستان ضد النظام الشيوعى وباسم الاسلام اثار انتباه وسائل الاعلام مؤخرا . فاذا افترضنا ان نجاح الثورة الاسلامية الايرانية ضد النفوذ الامريكى كان قد اعقبه نجاح للمجاهدين الأفغان .. إلن يكون لذلك اثر على المسلمين الذين يعيشون فى الاتحاد السوفييتى ؟

من المحتمل ان يكون هذا السؤال قد طرح ايضا داخل الكرملين .. وهو ما يبرر ارسال حوالى ٨٠ الف عسكرى سوفييتى الى افغانستان فى نهاية عام ١٩٧٩ م .

ولكن اذا كان هذا هو الأمر لماذا نجد ان مسلمى آسيا الوسطى يشكلون حوالى ٤٠٪ من القوات التى غزت افغانستان ؟؟ واذا كان القرار

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

السوفييتى قد وضع فى الاعتبار ولو جزئيا المخاوف من ضمان ولاء المسلمين السوفييت .. اليس اسناد المهمة الى هؤلاء المسلمين يشكل مغامرة فى حد ذاته ؟؟

الاجابة على هذه التساؤلات تكمن فى سحب المسلمين من القوات السوفييتية الغازية فى فبراير من عام ١٩٨٠ م . ومع ان هذا الامر فى حد ذاته لا يثير الاستغراب طالما كانت هى قوات فى مهمة محدودة .. الا ان المستغرب هو ان القوات التى حلت مكانها باكملها تقريبا

من الروس (الشيوعيين)

خطأ فى التقديرات السوفييتية

من الواضح ان للقيادة السوفييتية رأيا اخر فى مناسبة الجنود المسلمين للقيام بعملية غزو افغانستان .. ومن المحتمل ان تكون قد وقعت فى خداع حول طبيعة هذه العملية .. وربما كانت تأمل

فى ان تأتى الاطاحة بنظام حفيظ الله امين (الرئيس الأفغانى السابق) ببعض الامتنان من الشعب الأفغانى .. خاصة وان نظام كارمل قد ادعى اعلان احترامه للاسلام ومعارضته سياسات امين المناهضة للدين الاسلامى .

وكان القادة السوفييت يعتقدون ان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ارسال الجنود المسلمين الى افغانستان سيمهد الطريق .. وذلك باندماجهم مع المواطنين الأفغان . ولكن بنهاية شهر فبراير عام ١٩٨٠ م بدا واضحا ان عداء هؤلاء المواطنين لقوات الاحتلال فى تزايد .. وان هذه القوات قد اشتركت مباشرة وبشراسة فى العمليات ضد الثوار الذين يقاتلون باسم الاسلام .

ولذلك تاكد انه من غير المناسب ارسال جنود مسلمين لمهمة احتلال

افغانستان .. بل ان بعضهم اوضح ذلك بالفعل بتصرفه خلال وجوده هناك .. وقد ظهرت علاقات بين هؤلاء الجنود وبين المواطنين الأفغان لكنها ادت الى عكس ما كان ينتظره الزعماء السوفييت ذلك انهم قد تأثروا بالمواطنين الافغان اكثر مما تأثر هؤلاء بهم .. وقد تواترت الانباء عن عمليات شراء سرية كبيرة لنسخ القرآن الكريم من قبل هؤلاء الجنود لادخالها بصورة سرية الى الاتحاد السوفييتى

كما ان بعض الجنود السوفييت قد ذهب الى ابعد من ذلك وانضم لقوات المجاهدين الافغان .

مؤتمر نيويورك

فى مؤتمر عقد بنيويورك فى بداية العام الحالى حول المسلمين السوفييت اكد الخبراء ان مشكلة الانفجار السكانى للمسلمين فى الاتحاد السوفييتى مشكلة

حقيقية .. وان كانوا قد اعتبروها ليست فى مستوى الحدة التى تحدث عنها مقال الكسندر بنجسين وتشانتال ليمير سير الذى نشراه فى نشرة (الدين فى الدول الشيوعية) .

تقديرات الخبراء الذين اشتركوا فى مؤتمر نيويورك اشارت الى ان عدد المسلمين السوفييت سيبلغ فى عام ٢٠٠٠

م سيكون اكثر من ٦٠ مليون شخصا (وليس ١٠٠ مليون على الأقل) مثلما يذكر مقال بنجسين وليميرسير .

ومن الملاحظ ان هناك فرق شاسع بين معدلات التكاثر بين المسلمين وغير المسلمين السوفييت .. ذلك انه اذا استمر الاتجاه الحالى هناك فانه سيكون من بين اى طفلين سوفييتين ولدا فى عام ٢٠٠٠ م واحد مسلم .

وقد اثارت هذه الحقيقة قلق السلطات السوفييتية حتى انه تمت فى مؤتمر الحزب الشيوعى الذى عقد فى شهر فبراير الماضى .. مناقشة (الحاجة لاتخاذ سياسة احصائية دقيقة للمواليد والوفيات) وتقرر دراسة معدلات التكاثر

على اسس اقليمية ..

مشكلة القوى العاملة

الأثر المباشر للمشكلة سيظهر فى مسألة القوى العاملة .. فبالنظر الى الاتحاد السوفييتى ككل نجد ان اعداد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

السوفييت الذين هم فى عمر يمكنهم من العمل فى تناقص .. ويتوقع ان تصل فى الثمانينات ربع ما كان عليه الامر فى السبعينات .. والزيادة متوقع حدوثها فقط فى الجمهوريات الجنوبية التى يقطنها المسلمون . ولذلك فانه يتوقع حدوث تناقص كبير فى القوى العاملة بالاتحاد السوفييتى مالم تتم هجرة

الجنوبية للاتحاد السوفييتى . ولذلك

السبب يبدو ان السلطات السوفييتية لا تشجع اطلاقا هذه الظاهرة بل عمدت الى وسائل ترغيب مثل تركيز الاستثمارات

الصناعية فى المناطق الجنوبية . وهذا بدوره يثير اسئلة سياسية حول رد فعل بقية الجمهوريات لمحاولات تمييز الأقاليم الجنوبية . وما هى الاثار الاجتماعية التى ستنجم بالتالى عن ارتفاع معدلات التحضر فى هذه الاقاليم .

الجانب العسكرى للمسألة

للمشكلة السكانية فى الاتحاد السوفييتى ايضا جانب عسكرى .. ذلك انه وفقا لما اورده الدكتور موراى فيشباش الخبير الامريكى المتخصص فى المسائل السكانية السوفييتية .. فان المهام التى تسند للجنود السوفييت المسلمين توضح ان القيادة العسكرية لا تضع فيهم كامل ثقتها كقوات محاربة . وهؤلاء الجنود لا يعينون فى العادة للعمل فى الوحدات ذات التخصص النادر والوحدات الانشائية ووحدات الميدان . وسواء اكان هناك شك فى التزامهم السياسى ام لم يكن فالتاكيد ان هناك شكوك حول اعدادهم الاجتماعى والتعليمى للخدمة العسكرية .. وفوق كل ذلك حول مقدرتهم على التحدث باللغة الروسية .. ومع ذلك فان معدلات التجنيد للجيش متزايدة بين المسلمين السوفييت . وفى عام ٢٠٠٠ م يتوقع ان يأتى ثلث المجندين الجدد من الأقاليم الجنوبية .

وما يزيد المشكلة استفحالا هو الشعور المتزايد وسط المسلمين السوفييت بانهم يشكلون ذاتية مستقلة .

وقد نوقشت هذه المسألة باستفاضة فى مؤتمر نيويورك وان كان لم يتوقع ايا من المتحدثين فيه قيام ثورة اسلامية او اعلان الجهاد فى الجمهوريات السوفييتية المسلمة فى المستقبل القريب لكنهم جميعا اشاروا الى تميز الثقافة الاسلامية فى هذه الجمهوريات والتى تتمثل فى الالتزام بالشعائر الاسلامية الخاصة بامور كالزواج ودفن الميت .

عن صحيفة
« لاتين امريكا ديلى بوست »

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية